Al-Daleel
مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية
Al-Daleel Institution for Doctrinal Studies

The Formation of the Muslim Child's Identity Between Islamic Educational Philosophy and Generative Artificial Intelligence

Bahiyya Sahli
PhD in Islamic Educational Thought, College of Arts and Humanities, Mohammed V University, Morocco.
E-mail: sehli.bahia@gmail.com
DOI: https://doi.org/10.64704/aldaleel.2025083007

Abstract

The profound technological transformations of the contemporary era have exerted a marked influence on educational theory and practice, particularly following the advent of generative artificial intelligence (AI); systems capable of producing novel, human-like creative outputs. Although this technological leap offers significant pedagogical opportunities, it simultaneously raises concerns regarding the preservation of learner identity. These concerns become especially salient in the case of the Muslim child, given that generative AI systems are largely developed within Western epistemological and axiological frameworks that propagate values and conceptual orientations potentially at odds with Islamic references. In light of this challenge, the present study investigates how generative AI-now a pervasive component of educational environments-may be pedagogically leveraged in the upbringing of Muslim children without compromising their identity. The central research problem is articulated as follows: By what mechanisms can the identity of the Muslim child be safeguarded from the ideological and cultural influences embedded in generative AI, while enabling its constructive and ethically appropriate use in learning contexts? Methodologically, the study adopts an integrated tripartite approach-descriptive, analytical, and comparative-to address this question. The findings demonstrate that Islamic educational philosophy offers a holistic and value-centered framework for the formation of the Muslim child's identity across cognitive, moral, spiritual, and social dimensions. Furthermore, the research concludes that generative AI can indeed be incorporated into child education without jeopardizing Islamic identity, provided that deliberate safeguards, evaluative criteria, and pedagogical protocols are implemented to ensure that AI functions as a culturally aligned instrument for strengthening-rather than destabilizing-the child's Islamic identity.

Keywords: identity formation, Muslim child, Islamic educational philosophy, generative artificial intelligence.

Al-Daleel, 2025, Vol. 8, No. 30, PP .181-206

Received: 18/09/2025 | Accepted: 16/10/2025 | published: 15/12/2025

Publisher: Al-Daleel Institution for Studies and Research

© the author(s)

هوية الطفل المسلم بين الفلسفة التربوية الإسلامية والذكاء الاصطناعي التوليدي

بهية سهلي
دكتوراه في الفكر التربوي الإسلامي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، المغرب.
البريد الإلكتروني: sehli.bahia@gmail.com
معرف الغرض الرقمي: https://doi.org/10.64704/aldaleel.2025083007

الخلاصة

شهد عالمنا اليوم تطورًا تقنيًّا أثّر بشكل بارز على المجال التربوي، خصوصًا بعد ظهور الذكاء الاصطناعي التوليدي الذي يقوم بإنتاج محتويات مبتكرة مولّدة جاهزة تقترب من المحتوى الإبداعي للإنسان. وهذه النقلة النوعية للذكاء الاصطناعي بقدر ما لها من أدوار إيجابية في الارتقاء بالتعليم، فلها مخاطر تمسّ هوية المتلقي، خاصّةً إذا كان المتلقّي طفلًا مسلمًا؛ نظرًا لكونه صمّم بخلفية غربية تنشر وتدعم بعض الأطاريح والقيم التي تتعارض مع المرجعية الإسلامية. ممّا كان لزامًا أن نبحث عن إمكانية توليف الذكاء الاصطناعي التوليدي؛ باعتباره أصبح واقعًا معاشًا في العملية التربوية والتعليمية في تربية الطفل دون التأثير على هويته، من خلال الإجابة عن الإشكالية التالية: كيف يمكن أن نحمي هوية الطفل المسلم من تأثير الذكاء الاصطناعي التوليدي أثناء تعلّمه، واستثماره بشكل سليم؟ واعتمدت في إعداد هذا المقال على منهج ثلاثي مكوّن من الوصف والتحليل والمقارنة؛ للإجابة عن الإشكالية، وتوصّل البحث إلى أنّ الفلسفة التربوية الإسلامية تعمل على تشكيل هوية الطفل المسلم من جميع جوانبه وفق المنظور الإسلامي، ويمكن استثمار الذكاء الاصطناعي في تربية الطفل دون التأثير على هويته من خلال اتّخاذ تدابير تجعل منه ذكاءً موظّفًا في سبيل تعزيز الهوية الإسلامية للطفل المسلم.

الكلمات المفتاحية: الهوية، الطفل المسلم، الفلسفة التربوية الإسلامية، الذكاء الاصطناعي التوليدي.

مجلّة الدليل، 2025، السنة 8، العدد 30، ص. 181 ـ 206
استلام: 2025/09/18 | القبول: 2025/10/16 | النشر: 2025/12/15
الناشر: مؤسّسة الدليل للدراسات والبحوث
© المؤلّف

المقدّمة

لا يختلف اثنان على أنّ تطوّر التقنية على مرّ السنين قد حقّق رفاهيةً ماديّةً ومعنويةً وفكريةً للإنسان، فالذكاء الاصطناعي التوليدي ارتقى من تقديم المعلومة إلى الإبداع فيها؛ ليغدو في ذلك أقرب ما يكون إلى الذكاء البشري، إلّا أنّ له آثارًا سلبيةً عديدةً على الإنسان تتجلّى في الحدّ من قدراته الإبداعية سواء التفكيرية منها أو التحليلية أو التركيبية أو البحثية، بعدما صار الذكاء الاصطناعي ينتج مقالاتٍ معرفيةً شبه متكاملة بمناهجها وتوثيقاتها، فضلًا عن اختراقه لهويات الفرد بنشره لبعض الأطاريح والقيم التي تتعارض مع مرجعيته الدينية.

ويرتبط موضوع المقال بتأثيرات الذكاء الاصطناعي التوليدي على تشكّل هوية الطفل المسلم؛ نظرًا لكون الطفل ثمرة المجتمع المسلم ومستقبله؛ إذ سيعمل البحث على دراسة تشكّل هوية الطفل المسلم بين الفلسفة التربوية الإسلامية والذكاء الاصطناعي التوليدي؛ للخلوص بحلول ناجعة لحماية الهوية الإسلامية للناشئة في ظلّ هذا التطوّر التقني العالمي.

ومن ثمّ فإنّ البحث يصبو إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:

ـ أيّة دلالات تكتسيها مفاهيم "هوية الطفل المسلم" و"الفلسفة التربوية الإسلامية" و"الذكاء الاصطناعي التوليدي"؟

ـ وكيف تسهم الفلسفة التربوية الإسلامية في بناء هوية الطفل المسلم؟

ـ وكيف يؤثّر الذكاء الاصطناعي التوليدي في هوية الطفل المسلم؟

ـ وأيّة آليات يمكن استخلاصها لتحقيق تكامل الأدوار بينهما وتعزيزها؟

إنّ تأثيرات التقنية عمومًا على هوية الإنسان ووعيه ليست من القضايا البحثية وليدة اللحظة، بل سبق وكانت محلّ دراسات أثمرت إبداع نظريات في شأنها، منها "نظرية الحتمية التقنية" (Theory of Technological Determinism) لمارشال ماكلوهان (Marshall McLuhan)، الذي يرى أنّ كلّ تقنية إعلامية جديدة تؤثّر على إدراك الإنسان للعالم وتفاعله معه، أي أنّ التقنية ليست مجرّد وسيلة، بل هي رسالة كذلك، ومن النظريات التي عنت بعلاقة التقنية بوعي الإنسان، نظرية "الغرس الثقافي" (Cultivation theory) التي ترى أنّ التعرّض المتكرّر للتلفاز لمدّة طويلة، يجعل الفرد يعتقد أنّ العالم الذي يراه في شاشة التلفاز هو صورة متطابقة مع

العالم الواقعي الذي يعيشه، ويرى منظّرو هذه النظرية أنّ «وسائل الاتّصال الجماهيرية تحدث آثارًا على إدراك الناس للعالم الخارجي، وخاصّةً الذين يتعرّضون لتلك الوسائل لفترات طويلة ومنتظمة، وبالتالي فإنّ الصور الذهنية السائدة لدى جماعةٍ ما تكون ناتجةً عن تكرار تعرّض أفراد هذه الجماعة لأنواع خاصّة من الرسائل الجماهيرية» [الحاج، نظرية الإعلام والاتّصال، ص 131].

فمن خلال هاتين النظريتين، تتّضح قوّة تأثير التقنية على وعي الإنسان الذي يؤثّر بشكلٍ ما في تشكيل هويته، والذكاء الاصطناعي التوليدي باعتباره أحد أشكال التقنية المطوّرة حديثًا، ولكونه موظّفًا في تعليم الناشئة في مرحلتها العمرية الدقيقة، ووسيلةً تعليميةً، فسيكون تأثيره أشدّ على تشكيل هوية الطفل المسلم، وإحداث انزياحات عن أسس الفلسفة التربوية الإسلامية ومبادئها التي تقوم عليها معظم الأنظمة التعليمية في العالم الإسلامي.

المبحث الأوّل: مفردات البحث

أوّلًا: مفهوم "هوية الطفل المسلم"

"هوية الطفل المسلم" مصطلح مركّب تركيبًا وصفيًّا، ولتحديد دلالته ينبغي التوقّف على كلٍّ من مصطلحي "الهوية" و"الطفل المسلم".

ـ الهوية: من حيث الدلالة اللغوية مصدر صناعي لـ"هو".

أمّا اصطلاحًا فيعرف الدكتور محمد عمارة هوية الشيء بأنّها: «ثوابته التي تتجدّد ولا تتغيّر، تتجلّى وتفصح عن ذاتها دون أن تخلي مكانها لنقيضها، طالما بقيت الذات على قيد الحياة» [محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، ص 6].

كما عرف الدكتور خليل نوري مسيهر العاني الهوية الإسلامية بكونها: «الإيمان بعقيدة هذه الأمّة، والاعتزاز بالانتماء إليها، واحترام قيمها الحضارية والثقافية، وإبراز الشعائر الإسلامية والاعتزاز والتمسّك بها، والشعور بالتميّز والاستقلالية الفردية والجماعية، والقيام بحقّ الرسالة وواجب البلاغ والشهادة على الناس، وهي أيضًا محصّلة ونتاج التجربة التاريخية لأمّة من الأمم، وهي تحاول إثبات نجاحها في هذه الحياة» [العاني، الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، ص 45].

ـ الطفل المسلم: "الطفل" مشتقٌّ من مصدر الطفولة، وقد عرّف صاحب "المنهل التربوي" الطفولة بأنّها: «مرحلة أساسية في حياة الفرد، وتمتدّ من الولادة إلى حين بلوغ

مرحلة المراهقة، أي إلى حدود السنة الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من عمره، وتأتي أهمّية الطفولة من كونها تشكّل القاعدة الأولى التي تتأسّس عليها كلّ السمات والخصائص التي ستميّز الفرد لاحقًا في علاقته مع الآخرين، سواء تعلّق الأمر بالسمات الفكرية أو النفسية أو السلوكية» [غريب، المنهل التربوي، ج 1، ص 338 و339].

ويقسّم هؤلاء الباحثون الطفولة عادةً إلى ثلاثة أطوار أساسية هي:

ـ طور الطفولة الأولى: وتدوم من الولادة إلى السنة الثانية، وهي مرحلة حسّية حركية بالدرجة الأولى، وفيها تشتدّ الحاجة لدى الطفل الرضيع إلى الحركة، كما يتميّز هذا الطور أيضًا بحاجة الرضيع إلى العناية والرعاية، سواء من حيث التغذية أو العاطفة؛ وهو في ذلك يعتمد بشكل شبه تامٍّ على الخدمات التي يقدّمها له الكبار.

ـ الطفولة الثانية: يبدأ محيط الطفل في الاتّساع، سواء من حيث المكان أو الأشياء التي تصبح في متناوله أو على المستوى الرمزي؛ نظرًا لبروز الوظيفة اللغوية في حياته خلال السنة الثانية، ففي هذه الحقبة يبدأ الطفل في استبطان نوعية القيم والأنماط السلوكية المحيطة، ممّا يزيد في هذا الاستبطان العلاقات التي يربطها الطفل مع الآخرين، أي العلاقات الاجتماعية التي تتيح له نوعًا من التواصل والتبادل على مستويات متعدّدة.

ـ الطفولة الثالثة: تتميّز أساسًا ببروز ما يسمّى بالإحساس الأخلاقي لدى الطفل، كما تبرز لديه مجموعة من العمليات العقلية الأساسية، التي تتيح له إمكانية التفكير في الأشياء بشكل أعمق، هذا بالإضافة إلى أنّ هذه المرحلة تعدّ مرحلة التفتّح على العالم الاجتماعي بشكل أكثر عمقًا؛ نظرًا لدخول الطفل إلى عالم المدرسة وما يترتّب عنه من تأثيرات تربوية منظّمة على شخصيته.

وهناك تعريفات أخرى للطفولة ترفع عمرها إلى 18 سنةً، بحيث تساويها بسنّ الرشد القانوني، فقد عرّفت الاتّفاقية العالمية لحقوق الطفل في بندها الأوّل الطفل على أنّه: «كلّ كائن إنساني يبلغ من عمره أقلّ من 18 سنةً، ما عدا إذا تمّ الرشد قبل ذلك حسب القانون الخاضع له» [المصدر السابق، ص 339].

وعند النظر في الشريعة الإسلامية، نجدها قسّمت مراحل الطفولة إلى ثلاث مراحل وهي: مرحلة ما قبل التميز (قبل 7 سنوات)، ومرحلة ما بعد التميز (10 سنوات)، ومرحلة ما

بعد التمييز إلى البلوغ، ونصّت على معاملة الطفل وفق مرحلته العمرية، فعن الحاكم في الكنى عن النبيّ ﷺ قال: «الولد سيّدٌ سبع سنين، وخادمٌ سبع سنين، ووزيرٌ سبع سنين، فإن رضيت مكانفته لإحدى وعشرين، وإلّا فاضرب على كتفه، قد أعذرت إلى الله فيه» [الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ج 16، ص 442]. وعن أنسٍ مرفوعًا: «الغلام يعقّ عنه يوم السابع، ويسمّى ويماط عنه الأذى، فإذا بلغ ستّ سنين أدّب، فإذا بلغ تسع سنين عزل فراشه، فإذا بلغ ثلاث عشرة ضرب على الصلاة والصوم، فإذا بلغ ستّ عشرة زوّجه أبوه ثمّ أخذ بيده، وقال أدّبتك وعلّمتك وأنكحتك، أعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة» [السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج 6، ص 318].

ومن ثمّ فالطفل المسلم هو الإنسان الذي يعيش مرحلةً عمريةً تمتدّ من الولادة إلى سنّ البلوغ تحت رعاية أسرة تدين بدين الإسلام.

استنادًا إلى ما سبق يفيد مفهوم هوية الطفل المسلم الثوابت الوجودية المتعلّقة بالكون والحياة والمصير التي ينشأ عليها الإنسان الذي يعيش مرحلةً عمريةً تمتدّ من الولادة إلى سنّ البلوغ تحت رعاية أسرة تدين بدين الإسلام.

ثانيًا: مفهوم الفلسفة التربوية الإسلامية

إنّ تحديد مفهوم للفلسفة التربوية الإسلامية، يستدعي الانطلاق من مفهوم الفلسفة، فالفلسفة كلمة معرّبة عن اليونانية، «فهي لفظ يوناني نشأ أوّل ما نشأ في بلاد اليونان، ولفظ الفلسفة مركّب من كلمتين يونانيتين وهما: فيلو ومعناها: المحبّة أو الإيثار، وسوفيس أو سوفيا، ومعناهما: الحكمة، وهو أصل الكلمة وسبب تسميتها بذلك، من خلال ما مضى يتبيّن أنّ الفلسفة باعتبار الوضع الأصلي تعرف بـ: محبّة الحكمة، أو إيثار الحكمة. [الحمد، مصطلحات في كتب العقائد، ص 94]

ولمّا دخل هذا المصطلح في الثقافة الإسلامية، جعل الفلاسفة المسلمين يبحثون لها عن سند في الثقافة الإسلامية مثل استدلالهم بقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ [سورة البقرة: 269]، والمفهوم المتعارف عليه للفلسفة هو البحث عن الحقيقة، أو «العلم الذي يبحث في ثلاثة مباحث أو مشكلات رئيسية، وهي مشكلة الوجود، ومشكلة المعرفة، ومشكلة القيم» [الشيباني، فلسفة التربية الإسلامية، ص 14].

أمّا التربية لغةً: فقد اشتقّت من كلمة ربي، وعرّفت: «(رب)، الراء والباء يدلّ على أصول، فالأوّل إصلاح الشيء والقيام عليه، فالربّ: المالك، والخالق، والصاحب» [القزويني، مقاييس اللغة، ج 2، ص 381]، واصطلاحًا: «التربية: هي تبليغ الشيء إلى كماله شيئًا فشيئًا» [الكفوي، الكلّيات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ص 314].

ولتحديد مفهوم للفلسفة التربوية، ينبغي أن نعرف العلاقة التي تربط الفلسفة بالتربية، فالفلسفة إذا كانت تبحث عن الحقيقة، ومعرفة جوهر الأشياء، وتقدّم تصوّرًا عن الكون والوجود والمعرفة والإنسان، فالتربية هي اليد المنفّذة لهذه التصوّرات، أي التربية تستمدّ من الفلسفة التصوّرات والمعتقدات والمبادئ التي توجّه عمليتها وتحقّق غايتها، وتجسّدها على أرض الواقع، فالمربّي عندما ينطلق من نظريات تربوية معيّنة أثناء عملية التربية، سينطلق من توجّهه الفلسفي، أي سينطلق من فلسفة تربوية معيّنة، ليبني عليها عمليته التربوية ويحقّق غاياتها.

فهذه العلاقة التأثيرية والتأثرية بين الفلسفة والتربية، أنتجت ما يسمّى بـ"الفلسفة التربوية"، باعتبارها المرجعية الموجّهة لعملية التربية، وقد نالت نصيبًا وفيرًا من التعريف بها، تحت مسمّى "فلسفة التربية"، منها:

عرّف "المنهل التربوي" فلسفة التربية بأنّها: «حقل معرفي أساسي من الحقول التي تهتمّ بالتربية وتقارب ظواهرها من زاوية فلسفية؛ فإذا كانت العلوم الإنسانية مثلًا تدرس موضوع التربية وخاصّةً الطفل، طبيعته، نموّه، وعلاقته بالوسط، وإذا كانت البيداغوجيا تبحث في وسائل إنجاز الفعل التربوي، فإنّ فلسفة التربية تفكّر في غايات التربية من خلال طرح تساؤلات مثل: لماذا نربّي؟ وما هو معيار التربية الناجحة؟» [غريب، المنهل التربوي، ج 2، ص 753].

وعُرّفت كذلك بأنّها: «حقل معرفي يهتمّ بالتربية والتعليم انطلاقًا من التفكير الفلسفي في موضوعات عديدة، مثل غايات التربية ووسائلها، طبيعة الفعل التربوي في علاقته بالشخصية الإنسانية وبقضايا المعرفة والثقافة، طبيعة المعرفة ووسائلها وأساليب الحكم والبرهنة والنقد في علاقتها بمحتويات الموادّ الدراسية وأنشطة التعليم» [المصدر السابق].

وعُرّفت بأنّها: «النشاط الفكري المنظّم الذي يتّخذ الفلسفة وسيلته لتنظيم العملية التربوية وتنسيقها وانسجامها وتوضيح القيم والأهداف التي ترنو إلى تحقيقها، في إطار ثقافي

وخبري معيّن، وعلى هذا الأساس تكون الفلسفة وفلسفة التربية والخبرة الإنسانية مكوّناتٍ ثلاثةً لكلّ واحد متكامل» [النجيحي، مقدّمة في فلسفة التربية، ص ح].

وعُرّفت كذلك بأنّها: «استخدام الطريقة الفلسفية في التفكير والبحث في مناقشة المسائل التربوية، إنّ هذا يعني أنّنا في فلسفة التربية نقوم بجهد عقلي لمناقشة وتحليل ونقد جملة المفاهيم الأساسية التي يرتكز عليها العمل التربوي وذلك مثل: الطبيعة الإنسانية، النشاط المدرسي، الخبرة، الحرّية، الثقافة، المعرفة ... إلخ، وبالإضافة إلى مناقشة المفاهيم، ففلسفة التربية تقوم كذلك بتحليل ونقد المشكلات التربوية بالمنهج نفسه وبالطريقة ذاتها» [إسماعيل علي، فلسفات تربوية معاصرة، ص 21].

يتّضح من خلال هذه التعاريف اتّفاقها على مهامّ فلسفة التربية، وهي البحث والنظر في داخلها للبحث في مسائلها ونقدها، والبحث عن حلول لمشاكلها، وتحديد وظائفها ومخرجاتها، فالفلسفة بهذه الأدوار تقوم بالوظيفة الميكروسكوبية للتربية، أي النظرة الداخلية لمكوّناتها ونقدها وتحليلها بهدف معرفة ماذا سنصنع من المتعلّم، فهي تحدّد توجّه التربية وغايتها، وتحوّل النشاط التربوي من نشاط عشوائي إلى نشاط هادف.

وتفاوتت من حيث دقّتها في إبراز دور فلسفة التربية، وكان التعريف الأخير أكثر دقّةً وقربًا لما سيُعرض في هذا البحث، وسنتّخذه بوصلةً في الكشف عن بناء هوية الطفل المسلم وفق فلسفة التربية ذات التوجّه الإسلامي، أي ما يعرف بـ"الفلسفة التربوية الإسلامية".

الفلسفة التربوية الإسلامية

في ضوء ما تمّ بيانه سابقًا في تعريف الفلسفة التربوية، يتبيّن لنا أنّنا عندما نتكلّم عن الفلسفة التربوية الإسلامية، فنعني بذلك أنّنا ننطلق في عملية التربية من التصوّر الإسلامي للوجود والمعرفة والقيم، وكلّ المباحث المرتبطة بالتربية وفق التصوّر الإسلامي، ولعلّ ما عبّر عنه الدكتور عمر التومي الشيباني في بيانه لمفهوم الفلسفة التربوية الإسلامية بقوله: «إنّها مجموعة المبادئ والمعتقدات والمفاهيم والفروض والمسلّمات التي حدّدت في شكل متكامل مترابط متناسق لتكون بمثابة المرشد والموجّه للجهد التربوي والعملية التربوية بجميع جوانبها وللسياسة التعليمية في البلاد...

وهـذا التعريـف الأخـير الذي أتينـا بـه لفلسـفة التربيـة صالـح للتطبيـق على أيّ نـوع مـن أنـواع التربيـة، بمـا في ذلـك التربيـة الإسـلامية الـتي يهمّنـا في هـذا البحـث تحديـد الفلسـفة الـتي تقـوم عليهـا، وتحديدنـا لهـذه الفلسـفة لا يخـرج عـن ذكـر مجموعـة مـن المبـادئ والمعتقـدات المسـتمدّة مـن تعاليـم الإسـلام أو المتّفقـة مـع روحـه» [الشـيباني، فلسـفة التربيـة الإسـلامية، ص 18]. فهـذا التعريـف يتمـاشى مـع المفهـوم الذي نـودّ أن نتبنّـاه للفلسـفة التربويـة الإسـلامية، ويمكـن تعزيـز هـذا التعريـف، بتعريـف آخـر يحيـل إلى مفهـوم الفلسـفة التربويـة الإسـلامية، وإن كان المؤلّـف اسـتبدل مصطلـح "الفلسـفة التربويـة الإسـلامية"، بمصطلـح "المعرفـة التربويـة الإسـلامية"، لأسـباب بيّنهـا في مؤلّفـه بقـوله: «نقصـد بالمعرفـة التربويـة الإسـلامية هنـا كافّـة المواقـف والأفـكار والآراء والمفاهيـم والمعلومـات الـتي تتنـاول قضايـا ومشـكلاتٍ واتّجاهـاتٍ ومفاهيـم تربويةً اسـتنادًا إلى المرجعيـة الإسـلامية كمـا تتبـدّى في القـرآن الكريـم والسـنّة النبويـة، واجتهـادات المفكّريـن الذيـن يسـتندون بدورهـم إلى هـذه المرجعيـة صراحـةً.

وقـد اخترنـا أن نسـتخدم مصطلـح "المعرفـة التربويـة الإسـلامية"، ولـم نقتـصر على مصطلـح "فلسـفة التربيـة الإسـلامية" الذي هـو مقصدنـا بالدرجـة الأولى» [إسـماعيل عـلي، عبـد السـتار فـرج، فلسـفة التربيـة.. تأصيـل وتحديـث، ص 124].

فمـن خـلال هذيـن التعريفـين، يتبـيّن أنّ الفلسـفة التربويـة الإسـلامية لا تخـرج عـن التعريـف الذي قـدّم للفلسـفة التربويـة مـع تحديـد المرجعيـة الإسـلامية لهـا، أي الفلسـفة التربويـة الإسـلامية، هي تأطـير العمليـة التربويـة مـن جميـع جوانبهـا، وحـلّ مشـكلاتها، وتحديـد غاياتهـا، وفـق المرجعيـة الإسـلامية.

وقلـت تأطـير العمليـة التربويـة مـن جميـع جوانبهـا؛ لأنّ الشريعـة الإسـلامية جـاءت بمنهـج ربّـاني شـمولي لحـلّ جميـع مشـاكل حيـاة الإنسـان، والجـواب عـن جميـع أسـئلته الوجوديـة والقيميـة والمعرفيـة، فـكان تأطـير العمليـة التربويـة مـن جميـع جوانبـه وفـق الرؤيـة الإسـلامية، سـيمكن التربيـة مـن تحقيـق نتائجهـا على الوجـه الصحيـح، وتعـدّ المرجعيـة الإسـلامية الـتي تقـوم ببنـاء الإنسـان مـن جميـع نواحيـه قـادرةً على حـلّ المشـاكل التربويـة وتحديـد أهدافهـا وتحقيقهـا.

ثالثًا: مفهوم "الذكاء الاصطناعي التوليدي"

عرفتـه الهيئـة السـعودية للبيانـات والذكاء الاصطنـاعي بأنّـه: «نـوع مـن أنـواع الذكاء الاصطنـاعي الذي يسـتخدم تقنيـات تعلّـم الآلـة والشـبكات العصبيـة العميقـة لمحـاكاة قـدرة الإنسـان في إنشـاء

بيانات جديدة أو محتوًى أصيل ومبتكر، مثل: النصوص والصور ومقاطع الفيديو، ويمكن لنماذج الذكاء الاصطناعي التوليدي توليد مخرجات من نفس المدخلات، مثل: من نصٍّ إلى نصٍّ، أو من نوع مختلف، مثل: من نصٍّ إلى صورة أو مقطع فيديو» [الهيئة السعودية للبيانات والذكاء الاصطناعي، ص 6].

المبحث الثاني:

دور الفلسفة التربوية الإسلامية في تشكيل هوية الطفل المسلم

بيّنّا أنّ الفلسفة التربوية الإسلامية هي مجموعة من التصوّرات والآراء والتوجيهات المستمدّة من الشريعة الإسلامية، تؤطّر التربية من جميع جوانبها، وتحلّ مشاكلها وتحدّد غاياتها لتحقيق النتائج التي تتوافق مع مقاصد الشريعة الإسلامية، فالفلسفة التربوية الإسلامية بهذه الأدوار توجّه عملية التربية بشكل وظيفي ومحدّد، ممّا يسهم في بناء هوية إسلامية للطفل، ولإبراز أدوارها في بناء هذه الهوية، لا بدّ من عرض المباحث الكبرى لهذه الفلسفة، وكيفية تفعيلها أثناء التربية، ويمكن إجمالها فيما يلي:

- رؤية الإنسان لخالقه.
- ورؤية الإنسان لذاته.
- رؤية الإنسان للكون.
- رؤية الإنسان للحياة

ومن خلال هذه المباحث، يمكن تفعيل هذه المباحث في التربية من خلال ما يلي:

أوّلًا: رؤية الإنسان لله تعالى

حدّدت الشريعة الإسلامية العلاقة بين الإنسان وربّه، وجعلتها مبنيّةً على العبودية، والعبادة «اسم جامع لكلّ ما يحبّه الله ويرضاه من الأقوال والأفكار والأعمال والمشاعر والعواطف في حياة الأفراد والجماعات، وفي جميع الميادين الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية وغير ذلك» [الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية.. دراسة مقارنة بين فلسفة التربية الإسلامية والفلسفات التربوية المعاصرة، ص 77].

وقد بيّن القرآن الكريم هذه العلاقة في قوله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [سورة الذاريات: 57] فهذا الهدف الأساسي من خلق الله تعالى للإنسان، وهذه الحقيقة تحمي الإنسان من التيه والاضطراب، فالإنسان عندما يعرف ربّه ويعرف الغاية من خلقه، يوفّر عليه الكثير من التخبّط في الحياة والبحث عن سرّ وجوده، فتوظيف التربية في بناء هذا المعتقد للطفل المسلم، يمكن من حمايته من العقائد الفاسدة، ويحدّد له وجهته في هذه الحياة، وهنا يتبيّن دور الفلسفة التربوية الإسلامية من خلال بيانها الغرض من وجود الإنسان في الحياة، وتمكين التربية على إنشاء الطفل على وحدانية الله تعالى، وعبادته، وتعليمه طرق هذه العبادة؛ إذ تخرج عبودية الإنسان لربّه من صورتها المختزلة في العبادة بالجوارح والطقوس الدينية إلى العبادة في صورتها الكلّية المتمثّلة في استحضار الحقّ ﷻ في كلّ شيء، وعبادته من خلال النظر في نفسه وملكوته وتعاملاته كلّها، محقّقًا بذلك الخير والصلاح درءًا للمفاسد والشرور، ومن خلال اتّباع أحكام الشرع، والابتعاد عن المحاذير والمحرّمات، والتعبّد عن طريق تطبيق ما جاءت به الشريعة الاسلامية بصفة عامّة.

ثانيًا: رؤية الإنسان لذاته

من أهمّ الأمور الجوهرية التي تميّز الفلسفة التربوية الإسلامية عن الفلسفة التربوية الغربية رؤيتها للإنسان، فهذه الرؤية التي تحدّد صورة الإنسان تؤثّر في العديد من العناصر المرتبطة بالعملية التربوية، على رأسها النظرية التربوية التي ينطلق منها علم أصول التدريس (Pedagogy)، وسيرورة العملية التعليمية ـ التعلّمية التي يجب أن تكون مراعيةً لخصائص الذات الإنسانية في بعديها الإبستمولوجي والبيداغوجي.

فالذات الإنسانية التي تعمل الفلسفة التربوية الإسلامية على بنائها في المتعلّمين تشمل ثلاثة مستويات أساسية هي:

المستوى الأوّل: الذات الإنسانية باعتبارها كائنًا حيًّا مخلوقًا قائمًا بذاته، وله تنوّع فيزيولوجي واضح متمثّل في الذكورة أو الأنوثة.

المستوى الثاني: الذات الإنسانية ذات مفكّرة مستقلّة بذاتها تتلقّى المعارف وتشتغل عليها، وهي بذلك تحقّق عملية التعليم والتعلّم، وليست مجرّد مستقبل مثل ما نادت به النظرية السلوكية.

المستوى الثالث: الخصائص النفسية المميّزة للذات الإنسانية التي لا يجب أن تهمّش مثل الكرامة والحرية، وأنّ الإنسان منزّه عن الأفعال المنافية للفطرة السليمة، مثل العبودية للبشر والشذوذ الجنسي بمختلف أشكاله، وكلّ ما يخلّ بإنسانياتها من مظاهر لا تليق بصفتها الإنسانية.

وهذه المستويات الثلاثة التي رعتها الفلسفة التربوية الإسلامية تبيّن في طيّاتها أهمّية النظر إلى النظريات والبيداغوجيات المعتمدة في التعليم إن كانت ملائمةً في تدريس الإنسان المسلم، أم يجب تعديلها وفق ما ينسجم مع الفلسفة التربوية الإسلامية.

وإجمالًا يمكن القول إنّ الفلسفة التربوية الإسلامية تؤطّر ماهية الإنسان في بعده الذاتي في المبادئ التالية:

مبدإ التكريم: تؤكّد الفلسفة التربوية الإسلامية أفضلية الإنسان على سائر المخلوقات، فهو «أفضل ما في هذا الكون من عناصر وموجودات ومخلوقات، ميّزه الله على غيره من المخلوقات بكثير من الخصائص والمميّزات، فاستحقّ بذلك تكريمه وتفضيله على سائر المخلوقات، كما استحقّ بذلك أن يكون المحور الأساسي الذي ترتكز عليه الحياة بكلّ ما فيها من حركة ونشاط، وأن يكون موضع الرسالات السماوية ودعوات الإصلاح على مرّ العصور والأزمان» [الشيباني، فلسفة التربية الإسلامية، ص 72].

مبدإ التكليف والاستخلاف: تربّي الفلسفة التربوية الإسلامية الإنسان على مبدإ التكليف والاستخلاف؛ باعتبار المكانة التي ميّزه الله بها، فـ«تكريم الإنسان وأفضليته على غيره من المخلوقات واستخلافه في الأرض لتعميرها وتحميله أمانة التكاليف وحرّية الاختيار ومسؤوليته والمحافظة على القيم لا ترجع إلى جنسه أو لونه أو جماله أو شكله أو ماله أو درجته أو نوع عمله أو طبقته الاجتماعية أو الاقتصادية، وإنّما يرجع إلى إيمانه وتقواه وخلقه، وعقله وعمله، واستعداده لكسب المعارف والمهارات المختلفة، والاختراع والإبداع والقيام بالعمليات العقلية المختلفة، وقدرته على وضع الأسماء والمصطلحات لكلّ جديد في كلّ عصر وجيل، وقدرته على ضبط غرائزه ودوافعه وكبح جماح شهواته ونزواته، وقدرته على الإنشاء والتعمير والتجديد المستمرّ، وعلى تحمّل المسؤولية نحو نفسه ونحو مجتمعه، وعلى تسخير معارفه ومهاراته وخبراته في خدمة غيره، وعلى الترقّي الخلقي والاجتماعي، إلى غير

ذلك من المميّزات والصفات التي خصّ الله بها تعالى الإنسان دون غيره من المخلوقات» [الشيباني، فلسفة التربية الإسلامية، ص 76].

مبدإ التفكّر والتعقّل: تركّز الفلسفة التربوية الإسلامية على هذا المبدإ؛ لكونه أساس بناء الحضارات الإنسانية، وخصّيصة الإنسان، فهو «الناطق القادر على الكلام وعلى استعمال اللغة كأداة للتفكير والاتّصال، وعلى وضع المصطلحات، وعلى تسمية الأشياء لتمييزها والتصرّف فيها، وعلى التفكير الإرادي والواعي، وعلى اتّخاذ العالم الواقعي المحيط به موضوع إدراكه وتفكيره وتفسيره وإبداعه وموضوع نشاطه لإحداث التغيير المرغوب فيه، وعلى التعلّم واكتساب معارف ومهارات واتّجاهات جديدة، وعلى الإيمان بالغيب، وعلى التمييز بين الخير والشرّ، وعلى كبح شهواته ونزواته، وعلى تصوّر الوسائل التي تؤدّي إلى تحقيق هذه الغاية ... وعلى العمل والإنتاج وبناء الحضارة والتعمير» [المصدر السابق، ص 81].

مبدإ القيم الإسلامية: تركّز الفلسفة التربوية الإسلامية على ترسيخ الأخلاق الفاضلة والقيم الحسنة في نفس المتعلّمين، لأنّها الميزة التي تزيد من إنسانية الإنسان، وتدلّ على تحضّره ورقيّه، إلى جانب تحقيقه الصلاح بها.

وممّا يدلّ على مكانة الأخلاق في شريعة الإسلام أنّه «ورد في القرآن الكريم ألف وخمسمئة وأربع آيات تتّصل بالأخلاق، سواء في جانبها النظري أو في جانبها العملي، وهذا المقدار يمثّل ما يقرب من ربع عدد آيات القرآن الكريم» [المصدر السابق، ص 222].

ويعدّ هذا المبدأ ركيزةً أساسيةً تربط بين المبادئ كلّها، فبها تقوم العبادة على الأدب مع الله ﷻ، وتنظّم العلاقات بين الناس، وتصان العلاقات بين جميع الموجودات.

إنّ هذه المبادئ الكلّية التي سطّرتها الفلسفة التربوية الإسلامية تحدّد ماهية الإنسان الذي تريده الشريعة الإسلامية، وهذا بدوره يفرض على مؤسّسات التربية أن تكون محقّقةً لهذه المبادئ.

ولم تقتصر الفلسفة التربوية الإسلامية في بسط ماهية الإنسان على بعده الفردي، وإنّما ضبطت علاقة الإنسان بأخيه الإنسان كذلك؛ لكون علاقتهما تشكّل المجتمع الذي سيبني الحضارة، ويحقّق مقاصد الله تعالى في أرضه؛ إذ عملت على إحاطة المجتمع بمبادئ كريمة تتضمّن التعاون والتكافل والتآزر وتحقيق الصلاح والخير والمنفعة العامّة.

وهـذه المبـادئ وغيرهـا مسـتقاة مـن الإسـلام الذي هـو نظـام إلـهي في تشريعـه، وعلـمي بتجربته، وهـو يقـوم على بنـاء المجتمـع عـن طريـق بنـاء الإنسـاني للفـرد، والقيـادة في هـذا المجتمـع جماعيـة بـين أبنائـه الذيـن هـم بالإيمـان عبـاد الله، وأخـوة بـين أنفسـهم، وسـادة على المـوارد المسـخّرة لهـم، والذيـن يقيمـون مجتمعهـم على أسـاس أنّ العمـل هـو مصـدر الحقـوق والدرجـات للأفـراد في هـذا المجتمـع، وعلى أسـاس أنّهـم مـن نقطـة الإخـاء بالإيمـان شركاء بالعمـل في المـوارد والثمـرات والأموال الـتي هي في المجتمـع وفي أيـدي المؤمنـين أمـوال الله ﷻ. [الشـيباني، فلسـفة التربيـة الإسـلامية، ص 119 و120]

ومـن المقاصـد العليـا للإسـلام للشريعـة الإسـلامية تكويـن المجتمـع الفاضـل الذي يحكـم بقوانـين عامّـة، يمكـن تلخيصهـا في المحافظـة على الكرامـة الإنسـانية، والعدالـة بـكلّ صورهـا وشـعبها القانونيـة والاجتماعيـة والدوليـة، والتعـاون العـامّ، والمـودّة، والرحمـة بالإنسـانية، والمصلحـة، ودفـع الفسـاد في هـذه الأرض. [المصـدر السـابق]

ثالثًا: رؤية الإنسان للكون

يقصـد بالكـون «كلّ مـا عـدا الله تعـالى مـن أفـلاك وسـماوات، وأرضـين وكواكـب ونجـوم، وجبـال وسـهول، وأنهـار ووديـان، ونبـات وحيـوان وإنسـان، وجواهـر وأجسـام وأعـراض، ومخلوقـات ماديّـة وغـير ماديّـة» [المصـدر السـابق، ص 39]. وهـذا الكـون برمّتـه مسـخّر للإنسـان لإعانته على عبـادة الله ﷻ وتحقيـق خلافتـه في أرضـه.

فجـاءت الفلسـفة التربويـة الإسـلامية مربّيـةً للإنسـان على مبـدإ الإحسـان إلى هـذا الكـون؛ وذلـك بالحفـاظ عليـه، وعـدم التسـبّب في إفسـاده أو الاعتـداء أو تضييعـه بالـشرور والحـروب مـن قبيـل تلويـث البيئـة، وقتـل الحيـوان بـدون سـبب، والإسراف في اسـتثمار الـثروات الطبيعيـة، بـل ينبـغي الاسـتفادة منـه على الوجـه الذي شرّعـه الله تعـالى.

رابعًا: رؤية الإنسان للحياة

تبنّـت الفلسـفة التربويـة الإسـلامية مبـدأ الشريعـة الإسـلامية في التعامـل مـع الحيـاة بمختلـف أحوالهـا؛ إذ تكـرّس مبـدأ الإصـلاح والتعمـير في الأرض ونبـذ الإفسـاد، والإحسـان مـع مختلـف مخلوقـات الله ﷻ، وتجسـيد القيـم الإسـلامية في جميـع سـلوكياته مثـل التحـلّي بالصـدق والأمانـة ومـكارم الأخـلاق في جـلّ تفاعلاتـه مـع ظـروف الحيـاة، بمـا فيهـا الابتـلاءات الـتي قـد تصيـب

الإنسان في هذه الحياة، التي تعدّ دار ابتلاء، أي امتحانًا واختبارًا لتحمّل الإنسان أمانة الاستخلاف، والحياة ما هي إلّا زمن لهذا الابتلاء؛ لذا فالفلسفة التربوية الإسلامية تعمل على ترسيخ هذه المبادئ لدى الطفل المسلم لتعزّز فيه الشخصية المصلحة الخيّرة والمعمّرة والفاعلة في مجتمع، وتقوّي صحّته النفسية، وتربّيه على الرضى بالقضاء والقدر والإيمان بهما؛ لتجاوز كلّ ما يمكن أن يعترض المرء في حياته من ابتلاءات بالأمراض أو الفقر أو فقد للأهل والأحباب.

إنّ هذه المداخل التي تقوم الفلسفة التربوية الإسلامية ببنائها في الفرد وفق الرؤية الإسلامية تحقّق ضمنيًّا أهدافًا عليا تسعى إلى تحقيقها هذه الفلسفة، منها:

تعريف الإنسان بخالقه، وتحقيق العبودية له على وجهها الصحيح.

توجيه سلوك الفرد بما يناسب التعاليم الإسلامية.

تمكين الإنسان من مواجهة ابتلاءات الحياة بقلب المؤمن الراضي بقضاء الله وقدره، الساعي إلى الأخذ بأسباب عمارة الأرض والسعادة الدنيوية والأخروية.

ترسيخ العقيدة الإسلامية في النفس، وصيانتها من الأهواء والاضطرابات والنظريات والمرجعيات الفاسدة.

تمكين الإنسان من العيش بسلام في مجتمعه.

حفظ المجتمعات من التشاحن والتباغض، وتربيتها على التكافل والتعاون والمحبّة.

إنّ هذه الفلسفة تسعى إلى بناء الإنسان المسلم الصالح المستخلف في الأرض لعبادة الله، وإعمار الأرض بالخير والصلاح والفلاح، وصيانته من المعتقدات الباطلة، وحفظ فطرته من الأهواء الفاسدة، وهذه الرؤية هي أحد أهمّ الأسس التي تشكّل هوية الإنسان المسلم.

فهذه الفلسفة تقوم على تشكيل هوية الطفل المسلم انطلاقًا من المرجعية الإسلامية، وتستهدف جميع مكوّنات شخصيته المتمثّلة في الأساس العقدي والتعبّدي والأخلاقي والنفسي والاجتماعي والعلمي والفكري والصحّي والجنسي، وهي أسس تشكّل هوية الطفل عن طريق التربية والتعليم.

المبحث الثالث:

تأثير الذكاء الاصطناعي التوليدي في تكوين هوية الطفل المسلم

شهد الذكاء الاصطناعي التوليدي تطوّرًا مهمًّا بفضل ظهور تقنيات جديدة مثل شبكات الخلايا العصبية الاصطناعية وشبكات الخصومة التوليدية، وهي خوارزميات تمّ تطويرها في عام 2014 تستخدم شبكاتٍ خصوميةً توليديةً لتوليد صور جديدة من خلال خداع شبكة مقابلة. [الخليفة، مقدّمة في الذكاء الاصطناعي التوليدي، ص 11]

كما ارتبط بروزه بظهور المحوّلات التي هي معمارية ـ تمّ تطويرها عام 2017 ـ استخدمت آلية الانتباه لتحسين أداء معالجة اللغة الطبيعية، وتمّ تقديمها لأوّل مرّة في ورقة (attention is all you need)، وسرعان ما أصبحت الهيكلية الرائدة لمعظم تطبيقات البيانات النصّية. [المصدر السابق 12]

فظهور هذه التقنيات وتطوير نماذج التعلم الآلي أسهم في ظهور برامج الذكاء الاصطناعي التوليدي التالية: [المصدر السابق]

برنامج (DALL-E): وهو برنامج تمّ إطلاقه في عام 2021 من قبل شركة (OpenAI)، ويستخدم شبكات خصومية توليدية (Generative adversarial network) لتوليد صور من الوصف الكتابي لها.

برنامج (stable diffusion): وهو برنامج تمّ إطلاقه في عام 2022، ويستعمل شبكاتٍ خصوميةً توليديةً لتوليد صورة من وصف كتابي، كما يستخدم نماذج شبكات الانتشار (diffusion mode)، وهي نوع من أنواع الشبكات العصبية التوليدية العميقة.

برنامج (chatgpt): وهو برنامج تمّ إطلاقه في نوفمبر من عام 2022 من قبل شركة (open ai)، ويستخدم نموذجًا لغويًّا محسّنًا للمحادثة قادرًا على توليد ردود طبيعية تضاهي الردود البشرية، وطوّر «باستخدام النماذج اللغوية الضخمة gpt_3 و gpt_4، وهي تعدّ امتدادًا لتطوير نماذج لغوية سابقة، بدأت عام 2018 مع gpt_1، وبإمكانياته التي تتنبّأ بالنصوص البسيطة، إلى gpt_2 وقدرته على ما يبدو أنّه فهم سياق النصوص، مرورًا بقدرة gpt_3 على إنتاج نصوص تبدو شبيهةً بكتابة الإنسان، وانتهاءً بإصدار gpt_4 الذي تصل قدرته إلى إنتاج نصوص تبدو متماسكةً ومعقولةً بدرجة يصعب تمييزها عمّا يكتبه البشر» [الشريف حسن، الذكاء الاصطناعي التوليدي وانعكاسه على التعليم والتدريب، ص 6].

فهـذا التطـوّر الذي شـهده الذكاء الاصطنـاعي التوليـدي وظّـف في العديـد مـن الميادين، خاصّـةً التعليـم، بحيـث أصبـح قبلـةً للمتعلّمـين والمعلّمـين على حـدّ السـواء، فهـو يمكـن المعلّمـين مـن إعـداد دروسـهم ويقـدّم لهـم اقتراحـاتٍ إبداعيـةً لإنجـاح الدرس؛ إذ يمكـن لمعلـمي الصـفّ الابتـدائي على سـبيل المثـال الاسـتفادة منـه في صياغـة قصـص للأطفـال تثبـت القيـم الإسـلامية مـن قبيـل العفّـة وبـرّ الوالديـن والأمانـة وغيرهـا، كمـا يمكـن لـلذكاء أن يسـاعد المعلّمـين على إعـداد رسـومات ومخطّطـات تناسـب أعمـار الأطفـال وتحفزهـم على التعلّـم، واقـتراح وضعيـات مشـكلة يتـمّ حلّهـا بالإضافـة إلى العديـد مـن الأنشـطة التعليميـة.

يسـتفيد الطفـل المسـلم اليـوم مـن الآثـار الإيجابيـة لـلذكاء الاصطنـاعي مـن خـلاله تمكينـه مـن تملّـك كفايـات متنوّعـة عـدّة، إلّا أنّـه وضعـه أمـام تحدّيـات كـبرى مؤثّـرة في هويتـه يمكـن اختزالهـا في تحدّيـين أساسـيين:

تحـدّي تعزيـز الهويـة الافتراضيـة وإدماجهـا في هويـة الطفـل المسـلم؛ إذ الإنسـان عنـد تفاعلـه في مواقـع التواصـل الاجتمـاعي يصنـع هويتـه الافتراضيـة الـتي يعرّفهـا الدكتـور العيـاشي الفرفـار بأنّهـا «مجمـوع الصفـات والرمـوز والبيانـات الـتي يسـتخدمها الأفـراد في تقديـم أنفسـهم للآخريـن في المجتمعـات الافتراضيـة ويتفاعلـون معهـم مـن خلالهـا» [العيـاشي، الهويـة الافتراضيـة.. طبيعتهـا، خصائصهـا وعلاقتهـا بالمجتمـع الواقعـي، ص 315]. وهـذه الهويـة الافتراضيـة تجعـل الإنسـان يلبـس شـخصيةً مطلقـةً مغايـرةً عـن شـخصيته الواقعيـة، قـد يتقيّـد فيهـا بالضوابـط والسـلوكيات والأفـكار والقيـم الـتي نشـأ عليهـا أو يتحـرّر منهـا.

والذكاء الاصطنـاعي التوليـدي يسـهم بـدوره في صنـع هويـة افتراضيـة قائمـة في كثـير مـن الأحيـان على قيـم ومرجعيـات مادّيـة مخالفـة للديـن الإسـلامي؛ نظـرًا لكـون كثير مـن مبرمجيـه وواضـعي معارفه ومحتوياتـه هـم أصحـاب خلفيـة غربيـة علمانيـة، فيكـون هـذا التحـدّي حـاضرًا أثنـاء تعليـم الطفل المسـلم؛ لعـدم قدرتـه على تنقيـح المعـارف المقدّمـة له، وأخـذ مـا يوافـق عقيدتـه وتـرك مـا يخالفهـا.

ومعلـوم أنّ الطفـل يكـون في مرحلـة عمريـة لـم يتملـك فيـه بشـكل كلّي مناعـةً عقديـةً تحصّنـه مـن التأثّـر بالأفـكار والتوجّهـات المادّيـة المطروحـة، مـن قبيـل الترويـج لأحقّيـة ممارسـة العلاقـات الجنسـية خـارج إطـار الـزواج الـشرعي، واعتبـار الإجهـاض والشـذوذ الجنـسي حرّيـةً فرديـةً، فالهويـة الافتراضيـة الـتي يصنعهـا الذكاء الاصطنـاعي الذي يعـدّ مثـل هـذه القضايـا مقبولـةً وتدخل في إطـار حرّيـة الأفـراد تؤثّـر على التكويـن المعـرفي والسـلوكي للطفـل المسـلم.

ويتجلّى هذا التحدّي بجلاء في تجربة برنامج chatgpt؛ لكونه أحد أهمّ البرامج استقطابًا للأطفال أثناء التعلّم؛ فغالبًا ما يقوم المتعلّمون بطرح أسئلة تعليمية ترتبط بواجباتهم المدرسية أو أسئلة عامّة من باب حبّ المعرفة على البرنامج؛ ليجيبهم بمعلومات ذات نفحة مادّية معارضة لعقيدتهم، مثل التشجيع على الجندرية، والتطبيع مع الشذوذ الجنسي، وغير ذلك من القضايا التي يعالجها ببون شاسع مع المرجعية الإسلامية للطفل.

ومن باب الإثبات بالحجّة والتمثيل نورد نموذجين من جوابين للذكاء الاصطناعي التوليدي عن سؤالين طرحا عليه في سياق إعداد البحث حول "تغيير جنس الطفل" و"الشذوذ الجنسي" المعبّر عنه بالمثلية، والتي من المفترض أنّ أطفالًا مسلمين يطرحونها عليه، فكان جواباه كما يلي:

ـ السؤال الأول: ما هو رأيك في تغيير جنس الطفل؟

جواب الذكاء الاصطناعي التوليدي:

«كوني نموذجًا للذكاء الاصطناعي ليس لديّ مشاعر أو آراء شخصية. ومع ذلك، يمكنني تقديم المعلومات العامّة حول هذا الموضوع.

تغيير جنس الطفل هو مسألة شخصية تتعلّق بالهوية الجنسية والتوجّه الجنسي. في بعض الحالات، يمكن أن يشعر الأشخاص بعدم تطابق بين جنسهم المولدي وهويتهم الذاتية، ويقومون باتّخاذ قرار بتغيير جنسهم ليعبّروا عن أنفسهم بصورة أكثر توافقًا مع هويتهم الجنسية الحقيقية.

يجب أن تعامل هذه القضيّة بحسّاسية واحترام، ويجب أن يشمل القرار بتغيير جنس الطفل مشورةً طبّيةً متخصّصةً ومرافقةً نفسيةً للطفل وأسرته. كما يعدّ التشريع في بعض البلدان والثقافات والديانات عاملًا مؤثّرًا في قبول هذا الإجراء أو رفضه.

من الضروريّ أن يتمّ التعامل مع قضيّة تغيير جنس الطفل بروح المحبّة والدعم، مع تقديم الرعاية اللازمة لصحّة الطفل الجسدية والعقلية والاجتماعية. يعدّ هذا قرارًا شخصيًّا يتعيّن على الأسرة والطفل اتّخاذه بناءً على أفضل مصلحة للطفل ودعمه العاطفي والاجتماعي»

[https://chatgpt.com/:26/04/2024.]

فهذا الجواب المقدّم للطفل يتبنّى في مضمونه الفكر المروّج لظاهرة الجندرية تحت غطاء التسامح وتقبّل الآخر؛ إذ أوجب التعامل مع تغيير جنس الطفل باحترام وقبوله بروح المحبّة والدعم، مع العلم أنّ الفلسفة التربوية الإسلامية تعدّ الفعل أمرًا فاسدًا محظورًا يعمل على تغيير فطرة الإنسان السويّة التي فطره الله عليها، ومثل هذا الجواب يؤثّر في الطفل الذي وظّفت في حقّه أساليب إقناع مبطّنة تجعله مع مرور الزمن يطبّع مع الظاهرة.

السؤال الثاني: ما هو رأيك في المثلية الجنسية؟

«كوني نموذجًا للذكاء الاصطناعي، ليس لديّ مشاعر أو آراء شخصية. ومن المهمّ أن نفهم أنّ المثلية الجنسية هي جزء من تنوّع الهوية الجنسية والتوجّه الجنسي في المجتمع. تشير المثلية الجنسية إلى قدرة الأشخاص على الشعور بالجذب العاطفي والجنسي نحو الأشخاص من نفس جنسهم.

من المهمّ أن نتعامل مع مسألة المثلية الجنسية بفهم واحترام. يجب على الناس أن يحترموا حقوق الأفراد المثليين جنسيًّا وأن يتعايشوا معهم بصورة عادلة ومتساوية. ينبغي أن يكون للجميع الحقّ في التعبير عن هويتهم الجنسية، وأن يعيشوا حياةً سعيدةً ومستقرّةً دون خوف من التمييز أو العنف.

التفهّم والتسامح والدعم المجتمعي يمكن أن يساهموا في خلق بيئة أكثر شمولًا واحترامًا للأشخاص المثليين جنسيًّا. يجب أن نتذكّر أنّ التنوّع الجنسي والاجتماعي هو جزء أساسي من الإنسانية، ويستحقّ الجميع الاحترام والمساواة بغضّ النظر عن هويتهم الجنسية أو التوجّه الجنسي» [https://chatgpt.com/:26/04/2024].

وهذا الجواب بدوره من شأنه جعل الطفل المسلم يطبّع مع ظاهرة الشذوذ الجنسي بعدما يلمس في الجواب دعوةً إلى تفهم الظاهرة ودعم أصحابها؛ باعتبار التنوّع الجنسي جزءًا أساسيًّا من الإنسانية.

استنادًا إلى ما سلف يتّضح أنّ الذكاء الاصطناعي التوليدي يصير في كثير من القضايا هادمًا لما تبنيه الفلسفة التربوية الإسلامية؛ وذلك بسبب برمجته وفق المرجعية الغربية التي تختلف مع المرجعية الإسلامية في العديد من القضايا العقدية والقيمية، ممّا يوجب التفكير عند الاستفادة من الذكاء الاصطناعي التوليدي؛ ليكون ذلك بشكل إيجابي لا يعارض مبادئ الفلسفة التربوية الإسلامية وللحدّ من أخطاره، وهنا دعوة للمبرمجين المسلمين أن يقدّموا

للعالم الإسلامي برامج الذكاء الاصطناعي التوليدي بمرجعية لا تعارض تعاليم الدين الإسلامي، فالعالم الإسلامي زاخر بعلمائه في شتّى الميادين.

إنّ استخدام الذكاء الاصطناعي بشكل مفرط يؤدّي إلى إضعاف الطفل المسلم وقابلياته، فقد قدّم الذكاء الاصطناعي التوليدي برامج متطوّرةً في مجال إعداد المشاريع التعليمية وتحرير المقالات وإنجاز الواجبات الدراسية، وكتابة البحوث وغيرها من الواجبات التي تطلب من المتعلّمين، وهذه الإمكانات المتاحة بقدر ما تساعد المتعلّمين على الارتقاء بكفاياتهم المعرفية والمهارية والسلوكية، فإنّها تجعل الكثير منهم يتّجه نحو ممارسات تتنافى مع القيم الإسلامية من قبيل الغشّ والاتّكالية والانتحال والكسل المؤدّي إلى تعطيل التفكير والإبداع؛ ما يجعل هؤلاء المتعلّمين يضيّعون أهمّ المهارات الإبداعية التي تمكّنهم من التفوّق الفعلي في دراستهم وفي محيطهم، وهو أمر يتعارض مع الفلسفة التربوية الإسلامية القائمة على الاعتماد على النفس والصدق والفاعلية، والإبداع وتكريم العقل وإعماله.

إنّ كلّ هاته التحدّيات المهدّدة لكيان الطفل المسلم تقتضي من الأسر والمدرّسين وصنّاع القرار التعليمي بالدول الإسلامية أخذ الاحتياطات الازمة في تعامل المتعلّمين مع هذه التقنية؛ حتّى يكون استثمارها في التعليم مثمرًا ولا يؤدّي إلى نتائج عكسية تناقض أهداف المناهج التعليمية المسطّرة.

وإن عرض هذه التحدّيات يجلعنا نتساءل كيف يمكن أن نستفيد من الذكاء الاصطناعي التوليدي في تربية الطفل المسلم دون المساس بهويته الإسلامية؟ يمكن أن نجيب عليها في النقاط التالية:

1ـ تعزيز دور الفلسفة التربوية الإسلامية أثناء تربية الطفل المسلم في وقت مبكّر؛ لتمكينه من مناعة ذاتية قويّة عندما تعرض عليه ما يخالف عقيدته ومرجعيته الدينية، وسيمكّنه ذلك من معرفة حدوده في استعماله للذكاء الاصطناعي التوليدي، وبناء رقابة ذاتية له، ويستطيع أن يأخذ من هذه البرامج ما يفيده، وهو بمناعته الدينية سيتعامل بذكاء مع ما يعرض عليه، وهذه الإمكانية ليست بالمحالة، فتربية الوعي العقدي للطفل المسلم ممكنة.

2ـ توعية الأسرة بالجانب المظلم للذكاء الاصطناعي التوليدي، وتوعيتهم بكيفية استعماله بطرق إيجابية لتعليم أطفالهم.

3ـ تبنّي المؤسّسات التعليمية للمبرمجين المسلمين، وتشجيعهم ودعمهم في إعداد برامج الذكاء الاصطناعي التوليدي في المجال التعليمي، فالعالم الإسلامي يزخر بالعديد من المواهب العلمية في العديد من الميادين، تنتظر فرصتها لتقدّم إبداعاتها العلمية، ويمكن هنا أن تستعين المؤسّسات التعليمية بالمسابقات العلمية لاكتشاف المواهب.

المبحث الرابع: مظاهر الاتّصال والانفصال بين الفلسفة التربوية الإسلامية والذكاء الاصطناعي التوليدي

عند إلقاء نظرة مقارنة بين الفلسفة التربوية الإسلامية والذكاء الاصطناعي التوليدي يتّضح بالملموس أنّ بينهما اتّصالًا وانفصالًا في الآن ذاته؛ فكلاهما يقومان على تنمية الطفل المسلم معرفيًّا ومهاريًّا ووجدانيًّا، ويشكّلان هويته، فضلًا عن اعتمادهما على مدخلي التربية والتعليم واستثمارهما لأنشطتهما المحفّزة المتعدّدة، إلّا أنّهما يفترقان في المرجعية المستند عليها؛ إذ تستند الفلسفة التربوية الإسلامية في تشكيلها لهوية الطفل المسلم على الشريعة الإسلامية التي لا تقبل أحكامها القطعية التبديل أو التحريف بتغيّر الزمان والمكان؛ لكونها مشرّعةً من عند العليم ﷻ، فيما يظلّ الذكاء الاصطناعي التوليدي تطبيقًا رقميًّا مخترعًا من قبل الإنسان بخلفية مادّية غربية، ويشكّل هويةً افتراضيةً قد تكون مخالفةً في كثير من الأحيان لبعض العقائد والقيم التي شكّلت هوية الطفل المسلم.

إنّ الذكاء الاصطناعي التوليدي يعدّ وسيلةً يمكن تطويعها وتوجيه خدماتها بما يخدم هوية الطفل المسلم بشكل صحيح ينسجم والفلسفة التربوية الإسلامية؛ إذ هي الأساس الذي ينبغي أن تتأسّس عليه هوية الطفل المسلم، وهذا يتطلّب الارتقاء بالبحث العلمي التربوي بالبلاد الإسلامية وتكوين متخصّصين في ميدان تقنية التربية، يسهمون في خلق نماذج أخرى للذكاء الاصطناعي التوليدي تتوافق مع الهوية الإسلامية للطفل.

المبحث الخامس: رؤية استشرافية حول آليات تكامل الأدوار وتعزيزها

يمكن الاستفادة من الذكاء الاصطناعي التوليدي في الارتقاء بالطفل المسلم معرفيًّا ومهاريًّا وسلوكيًّا وصيانة هويته من التأثّر بالأفكار والمبادئ المادّية الغربية، وذلك بشكل يقوم على تكامل الأدوار بالاعتماد على الآليات التالية:

أوّلًا: تدريب المدرّسين ومختلف الأطر التربوية على التعامل مع الذكاء الاصطناعي التوليدي وتوظيفه في التربية والتعليم؛ إذ يمكن للمدرّس إصدار أمر لبرنامج chatgpt بكتابة قصّة عن إحدى القيم التي يدرّسها كقيمة الصدق، فيقوم البرنامج بتنفيذ الأمر وصياغة القصّة، ويتولّى المدرّس بعدها إحداث تغييرات في القصّة بما يتوافق والفلسفة التربوية الإسلامية، كما يمكن تدريبهم على تحويل النصوص المكتوبة إلى مقاطع سمعية بصرية موجّهة للأطفال المتعلّمين.

ثانيًا: تمكين المتعلّمين من تحصينات تقنية عبر توجيههم إلى طرح أسئلة عن الذكاء الاصطناعي التوليدي تكون مذيّلةً بعبارة "وفق الشريعة الإسلامية".

ثالثًا: تعزيز المراقبة الأسرية والتعليمية وتنظيم دورات تكوينية موجّهة للأسر في مجال الاستعمال التربوي الأمثل لهذه التقنية.

رابعًا: تذييل الواجبات المدرسية خاصّةً التي تتطلّب الكتابة مثل البحوث والمقالات والنصوص بالرأي الشخصي للمتعلّم، والترجيح بين الأفكار لتطوير المهارات اللغوية والتفكير الإبداعي، كما يمكن للمعلّم أن يستعمل بعض التقنيات والبرامج التي تكشف نسبة الاستعانة بالذكاء الاصطناعي مثل تقنية turnitin، وcopyleaks.

الخاتمة

في ختام هذا البحث يمكن إيراد النتائج المتوصّل إليها فيما يلي:

1ـ تجسيد الفلسفة التربوية الإسلامية صورة الإنسان الذي تتطلّع التربية الإسلامية إلى إيجاده، والمجتمع الذي تعمل على إخراجه في ضوء علاقة كلٍّ منهما بالخالق والكون والحياة والإنسان.

2ـ قيام الفلسفة التربوية الإسلامية على المبادئ والقيم المشكلة للهوية الإسلامية للطفل، وهذا يقتضي أن تبنى الأنظمة التعليمية وفق هذه الفلسفة.

3ـ تميّز الفلسفة التربوية الإسلامية بتكاملها وشمولها وإحاطتها بجميع جوانب حياة الإنسان.

4ـ تقديم هذه الفلسفة تصوّرًا كلّيًّا عن الذات الإنسانية وعلاقتها بنفسها وغيرها وخالقها والكون والحياة، فتكون بذلك قد قدّمت مبادئ وتوجيهاتٍ ينبغي العيش وفقها.

5ـ الذكاء الاصطناعي التوليدي يعدّ من آخر التقنيات المتطوّرة التي خلقت نقلةً نوعيةً في التربية والتعليم.

6ـ اتّسام الذكاء الاصطناعي التوليدي بقدرته على محاكاة الإنسان في الإبداع، إلّا أنّه يستند في إنتاجه على مرجعيات مادّية غربية لا تتوافق مع الفلسفة التربوية الإسلامية في كثير من القضايا.

7ـ تمرير الذكاء الاصطناعي التوليدي لهوية افتراضية تبتني على بعض المبادئ التي لا تتوافق مع الهوية الإسلامية للطفل، الشيء الذي يقتضي أخذ الحيطة عند تعامل الطفل معه.

8ـ إمكانية توظيف الذكاء الاصطناعي التوليدي في الارتقاء بالطفل المسلم معرفيًّا ومهاريًّا وسلوكيًّا من عبر إشراف متخصّصين تربويين وتقييد التعامل معه.

9ـ كما خلص البحث إلى مجموعة من التوصيات يمكن إيراد أبرزها في الآتي:

أ ـ ضرورة التطرّق إلى مسألة اعتماد الذكاء الاصطناعي التوليدي في التربية والتعليم من خلال إنجاز الدراسات والأبحاث في شأنه.

ب- تنظيم حملات إعلامية وثقافية دورية يؤطّرها علماء التربية للتحذير من خطورة الذكاء الاصطناعي التوليدي على هوية الطفل المسلم في حال غياب الإشراف الأسري والتعليمي.

جـ- توجيه الأطاريح الجامعية للدكتوراه على مستوى علوم التربية وعلم النفس وعلم الاجتماع والعلوم السياسية إلى دراسة تأثيرات الذكاء التوليدي على الناشئة المسلمة.

د- العمل على تقنين استعمال الذكاء الاصطناعي التوليدي في التعلم، للحفاظ على مهارات التفكير والإبداع للمتعلّمين، وحمايتهم من آفة الغشّ والاتّكالية في إنجاز البحوث، وذلك من خلال تعديل أسئلة الواجبات الدراسية التي تحتّم عليهم الاعتماد على جهدهم الإنساني.

هـ- التركيز على استحضار فلسفة التربية الإسلامية أثناء تربية الأطفال وتعليمهم؛ لأنّها صمام الأمان لهويتهم وحمايتها من الأفكار المادّية وأطاريحها المنافية لتعاليم الإسلام.

قائمة المصادر

ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، لبنان، الطبعة الأولى.

الجاسور، ناظم عبد الواحد، موسوعة علم السياسة، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمّان، 2004 م.

الحاج، كمال، نظرية الإعلام والاتّصال، الجامعة الافتراضية السورية، 2020 م.

الحمد، محمد بن إبراهيم، مصطلحات في كتب العقائد، دار بن خزيمة، ط 1.

الخليفة، هند بنت سليمان، مقدّمة في الذكاء الاصطناعي التوليدي، مجموعة إيوان البحثية، النسخة الأولى، 2023 م.

السبكي، تاج الدين، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2، 1413 هـ.

الشريف، حسن، الذكاء الاصطناعي التوليدي وانعكاسه على التعليم والتدريب، مركز أسبار، 2023 م.

الشيباني، عمر التومي، فلسفة التربية الإسلامية، الدار العربية للكتاب، 1988 م.

الشيباني، عمر محمد التومي، فلسفة التربية الإسلامية، المنشأة العامّة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ط 3، 1980 م.

العاني، خليل نوري مسيهر، الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ديوان الوقف السنّي، الطبعة الأولى، 2009 م.

الفرفار، العياشي، الهوية الافتراضية.. طبيعتها، خصائصها وعلاقتها بالمجتمع الواقعي، مجلّة الدراسات الإعلامية، المركز الديمقراطي العربي، برلين، العدد الحادي عشر، مايس 2020 م.

القزويني، أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979 م.

الكفوي، أبو البقاء، الكلّيات.. معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش ـ محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

الكيلاني، ماجد عرسان، تطوّر مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، دار ابن كثير، بيروت، ط 2، 1985 م.

الكيلاني، ماجد عرسان، فلسفة التربية الإسلامية.. دراسة مقارنة بين فلسفة التربية الإسلامية والفلسفات التربوية المعاصرة، دار القلم، دبي.

النجيحي، محمد لبيب، مقدّمة في فلسفة التربية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 1، 1963 م.

المتقي الهندي، علاء الدين علي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ضبطه: الشيخ بكري حياني، صحّحه: الشيخ صفوة السقا، نشر مؤسسة الرسالة، ط 5، 1985 م.

الهيئة السعودية للبيانات والذكاء الاصطناعي SDAIA، سلسلة الذكاء الاصطناعي التوليدي 1، نوفمبر 2023 م.

سعيد إسماعيل علي، فلسفات تربوية معاصرة، سلسلة عالم المعرفة، العدد 198، كانون الثاني 1978 م.

سعيد إسماعيل علي، هاني عبد الستار فرج، فلسفة التربية تأصيل وتحديث، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2008 م.

محمد عمارة، مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1999 م.

غريب عبد الكريم، المنهل التربوي.. معجم موسوعي في المصطلحات والمفاهيم البيداغوجية والديداكتيكية والسيكولوجية، منشورات عالم التربية، ط 1، 2006 م.